مرتكزات مدرسة الرأي في التفسير

The Fundamental Principles of the Opinion-Based School of Tafsir

م.م. تهاني عبدالغني عبدالله*

Tahani Abdul Ghani Abdullah

ايميل: tahani_ra@yahoo.com

رمز اوركيد: ٠٠٠٠-٠٠٠٠-٧٢٣٦-٨٢٤٨

الملخص

يتناول هذا البحث مدرسة التفسير بالرأي في القرآن الكريم، من حيث مرتكزاتها وأسسها العلمية، وذلك في ضوء المقارنة مع مدرسة التفسير بالمأثور، حيث ينطلق الباحث من أهمية الاشتغال بقراءة القرآن الكريم وتدبّر معانيه، بوصفه كتاب الله الخالد ونور الهداية للإنسان، مما يجعل دراسة مناهج تفسيره من أعظم ما يشتغل به المسلم. وقد ركّز البحث على بيان الأسس التي اعتمدت عليها مدرسة التفسير بالرأي، نظراً لأهميتها واتساع مجالها بين المفسرين، مع توضيح موقف العلماء منها وحدود القبول والرد. حيث تناول البحث التعريف بمدرستي المأثور والرأي، ومن ثم عرض مرتكزات مدرسة الرأي، واختتم ببيان أهم النتائج التي توصّل إليها، مؤكدًا أن التفسير بالرأي المقبول يعتمد على ضوابط العلم واللغة والشرع، ولا يتعارض مع مقاصد النص القرآني.

Abstract

This research explores the school of interpretation by opinion (tafsīr bi-al-ra’y) in the Holy Qur’an, focusing on its foundations and scientific principles in comparison with the school of interpretation by transmission (tafsīr bi-al-ma’thūr). The researcher begins by emphasizing the importance of reading and contemplating the Qur’an as the eternal Book of God and the guiding light for humanity—making the study of its interpretive methods one of the noblest pursuits for a Muslim. The study highlights the key principles upon which the school of interpretation by opinion is based, due to its significance and wide acceptance among exegetes, while clarifying scholars’ positions toward it and

* إعدادية زينب للبنات.

the boundaries of its validity and acceptance. It discusses the definitions of both schools, presents the main foundations of interpretation by opinion, and concludes with the principal findings, affirming that sound interpretation by opinion rests on the rules of knowledge, language, and Sharia, and does not conflict with the objectives of the Qur'anic text.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الأبرار وأصحابه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فإن الاشتغال بقراءة القرآن الكريم وفهم آياته وتدبر معانيه ومقاصده، من أجلّ ما يقوم به المسلم، ومن أفضل ما يشغل به وقته، فهو كتاب الله تعالى الخالد، ورسالته الأخيرة للبشرية، والنور الذي يهدي في الظلمات، والضياء الذي ينجي من الشبهات والشهوات، والنبراس الذي يرسم كل تفاصيل الحياة.

ولذا نال هذا الكتاب العظيم اهتمام العلماء بالعناية والدراسة والتفسير والبحث، لفهم أعمق وأوضح وأشمل، بغية الكشف عن معانيه ومراميه، وبيان مقاصده وأحكامه، وما تحوي آياته من إعجاز وبلاغة وأصول وقواعد وبيان للعقائد والعبادات والأخلاق.

وقد تنوعت المدراس والمناهج التي فسرت القرآن الكريم، حيث برز مدرسة التفسير بالمأثور، ومدرسة التفسير بالرأي، وكانت لكل مدرسة من هاتين المدرستين ملامح خاصة، تميزها عن الآخر.

وقد وقع اختياري في هذا البحث على دراسة أهم المرتكزات التي ارتكزت عليها مدرسة الرأي في التفسير، لأهمية هذه المدرسة وتبني مفسرين كثر لها.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين، حيث تناول المبحث الأول التعريف بمدرستي المأثور والرأي في التفسير في أربعة مطالب. المطلب الأول: تعريف المرتكزات لغة واصطلاحاً. المطلب الثاني: تعريف التفسير بالمأثور والرأي لغة واصطلاحاً. المطلب الثالث: أنواع التفسير بالرأي وموقف العلماء منها. المطلب الثالث: حكم التفسير بالرأي.

بينما جاء المبحث الثاني مرتكزات مدرسة الرأي في التفسير في أربعة مطالب. المطلب الأول: تفسير القرآن بالمأثور. المطلب الثاني: التفسير باللغة. المطلب الثالث: التفسير بالمعقول. المطلب الرابع: التفسير العلمي.

ثم خاتمة تضمنت أهم نتائج البحث.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد والرشد في أمورنا جميعها.

المبحث الأول
التعريف بمدرستي المأثور والرأي في التفسير

توطئة:

تنوعت تقسيمات العلماء والباحثين في علوم القرآن لمدارس التفسير تبعاً لاختلاف اعتباراتهم العلمية، وتباين اجتهاداتهم واصطلاحاتهم في تفريع العلوم وتنظيمها.

فنوع يعتمد في تقسيم التفسير على مدى فهم المتلقي لآيات القرآن الكريم، وهو تقسيم مأثور عن ابن عباس رضي الله عنه، حيث قسم التفسير إلى أربعة أقسام:

الأول: تفسير تعلمه العلماء. الثاني: تفسير تعرفه العرب من لغتها. الثالث: تفسير لا يعذر أحد بجهالته وهو ما يتعلق بالحلال والحرام. الرابع: تفسير لا يعلم تأويله إلا الله تعالى، ومن ادعى علمه فهو كاذب(١).

وقد ذكر الزركشي أن هذا التقسيم هو تقسيم صحيح(٢).

بينما قسم آخرون التفسير إلى ثلاثة أقسام:

الأول: التفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالمأثور. والثاني: التفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي. والثالث: التفسير الإشارة، ويسمى التفسير الإشاري.

وهذا التقسيم هو ما يجري عليه العمل في الأوساط التعليمية؛ لأنه أقرب تفريعاً إلى النواحي العلمية المتعلقة بالدراسات الجامعية والمدرسية(٣).

والذي يهمنا من هذا التقسيم هو التفسير بالرأي؛ لأنه موضوع بحثنا، وسنتناول أنواع التفسير بالرأي ومرتكزاتهم بالتفصيل في أثناء البحث إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: تعاريف:

أولاً: تعريف المرتكزات لغة واصطلاحاً:

المرتكزات لغة: من ركز وهو إثبات شيء في شيء يذهب سفلاً، يقال ركزت الرمح ركزاً. ومركز الجند الموضع الذي ألزموه. ويقال ارتكز الرجل على قوسه، إذا وضع سيتها بالأرض ثم اعتمد عليها(٤).

---

(١) ينظر: تفسير عبدالرزاق الصنعاني: ٢٥٣/١.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١٦٤/٢.

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ٣٥٥. مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢/ ٤٣٣.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٥/٤-٦. مختار الصحاح، الرازي: ١٣/١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي: ٤/١. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٦٢/١.

المرتكزات اصطلاحاً: لا يذهب المعنى الاصطلاحي للمرتكزات بعيداً عن المعنى اللغوي، فهي ارتكز إلى الشَّيء وعلى الشَّيء أي اعتمد عليه واستند إليه، ويقال هذا الرأي لا يرتكز على أساس صحيح. وارتكز الشيخُ على عصاه. وارتكز إلى المستندات في دفاعه عن نفسه(١).

فالمرتكزات التي نقصدها هنا هي العلوم والأسس والضوابط التي يرتكز إليها المفسر بالرأي ويلتزم بها ليصبح تفسيره مقبولاً ومحموداً.

ثانياً: تعريف التفسير بالمأثور لغة واصطلاحاً:

المأثور لغة: أصل المأثور من الفعل الثلاثي أثر ومن معانيه الخبر، والجمع آثار. وقوله عز وجل: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) (٢)، أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ونكتب آثارهم، وأثرت الحديث آثره إذا ذكرته عن غيرك، وحديث مأثور أي منقول(٣).

المأثور اصطلاحاً: هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم، ويسمى التفسير بالرواية(٤).

ومن أشهر التفاسير بالمأثور:

- ❖ التفسير المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
- ❖ تفسير ابن عيينة.
- ❖ تفسير جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبري.
- ❖ تفسير معالم التنزيل للبغوي.
- ❖ تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي.
- ❖ تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.
- ❖ تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي(٥).

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبدالحميد عمر: ٢/ ٩٣٥.

(٢) سورة يس: الآية (١٢).

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤/٥-٦. مختار الصحاح، الرازي: ١٣/١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي: ٤/١. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبدالحميد عمر: ٦٢/١.

(٤) ينظر: التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي: ١١٢/١. مناهل العرفان، الزرقاني: ١٢/٢.

(٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٣٧٠/١-٣٧١. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد: ١٣٩/١.

والتفسير بالمأثور ليس موضوع بحثنا وإنما ذكرناه؛ لأنه من أقسام المنهج العلمي للتفسير.

ثالثاً: تعريف التفسير بالرأي لغة واصطلاحاً:

الرأي لغة: من رأى وهو أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة. فالرأي هو ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآراء والرأي: الاعتقاد والعقل والتدبير والنظر والتأمل، ويقال لأهله أصحاب الرأي والقياس(١).

الرأي اصطلاحاً: هو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد اعتمادا على الأدوات التي يحتاج إليها المفسر اما يرجع إلى اللسان العربي من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك، وللتفسير بالرأي مسميات أخرى منها: التفسير بالدراية، والتفسير بالاجتهاد(٢).

"وهذا الصنف من التفسير قلّ أن ينفرد عن التفسير بالمأثور، إذ الأول هو المقصود بالذات. وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعات"(٣).

ومن أشهر التفاسير بالرأي:

- ❖تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم.
- ❖تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.
- ❖تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي.
- ❖تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي.
- ❖تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين الخازن.
- ❖تفسير البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي.
- ❖تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي.
- ❖تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي(٤).

"والتفسير بالرأي والاجتهاد لا ينفك عن المأثور في الجملة أياً كانت ألوانه واتجاهاته، ولم نقف على تفسير بالاجتهاد خلا عن المأثور قط"(٥).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢/ ٤٧٢. لسان العرب، ابن منظور: ٣٠٠/١٤. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون: ٣٢٠/١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٨٣٩/٢.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: ٢٥٢/١. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو: ٢٣٦/١. مناهل العرفان، الزرقاني: ١٢/٢. مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبدالجواد خلف محمد عبدالجواد: ١٣١/١.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: ٢٥٢/١.

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٣٧٧/١.

(٥) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة: ٤٣/١.

المطلب الثاني: أنواع التفسير بالرأي:

"قسّم العلماء التفسير بالرأي إلى قسمين هما: الأول: التفسير بالرأي المحمود. الثاني: التفسير بالرأي المذموم.

والتفسير **بالرأي المحمود:** هو التفسير المستمد من القرآن ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان صاحبه عالمًا باللغة العربية وأساليبها، وبقواعد الشريعة وأصولها"(١).

وأما والتفسير **بالرأي المذموم:** هو التفسير بمجرد الرأي والهوى(٢). وقيل: "أن يكون قولًا بغير علم، وهو نوعان: علم فاسد ينشأ عن الهوى، أو علم غير تامّ وينشأ عن الجهل"(٣).

المطلب الثالث: حكم التفسير بالرأي:

بما أن العلماء قد قسموا التفسير بالرأي إلى قسمين هما: التفسير بالرأي المحمود، والتفسير بالرأي المذموم، فسوف نبيّن حكم كل منها.

أولاً: حكم التفسير بالرأي المحمود:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في حكم التفسير بالرأي المحمود، وكثر الجدل بينهم حوله، إلى رأيين:

الأول: أنه جائز لمن توافرت فيه العلوم وشروط وأدوات التفسير، وقد استدلوا لصحة مذهبهم بأدلة من القرآن والسنة، وآثار عن السلف الصالح، وبأدلة عقلية منها:

١_ الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) (٤)، وغيرها من الآيات، فقد دلت هذه الآية وأمثالها على أن تفسير ما لم يستأثر الله تعالى بعلمه ليس محظوراً على العلماء وأهل الفكر والنظر.

٢_ الآيات التي تدل على أن في القرآن ما يستنبطه أولو العلم باجتهادهم، مثل قوله تعالى: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣) (٥). فقد قال الغزالي: الغزالي: "فأثبت لأهل العلم استنباطاً، ومعلوم أنه وراء السماع"(٦).

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ١/١٦٠.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٦٠.

(٣) التفسير بالرأي والمأثور، د مساعد بن سليمان الطّيّار: ١/٣.

(٤) سورة محمد: الآية (٢٤).

(٥) سورة النساء: الآية (٨٣).

(٦) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/٢٩٠.

٣_ دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[١]، ولو كان التفسير مقصوراً على النقل ولا يجوز الاجتهاد فيه لما كان لابن عباس مزية على غيره. قال الغزالي معقباً على هذا الدعاء: "فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل، ومحفوظاً مثله، فما معنى تخصيصه بذلك؟"[٢].

٤_ قول أبي بكر رضي الله عنه في الكلالة: «أقول فيها برأيي فإن كان صوابًا فمن الله: هو ما دون الولد والوالد. قال: فلما كان عمر رحمه الله قال: إني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر »[٣]. وقول مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها»[٤].

٥_ إن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في التفسير على وجوه، فلو كان التفسير بالرأي ممنوعاً عليهم، ومقصوراً على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجرؤوا على التفسير، ولما حدث بينهم هذا الاختلاف فدل على أنه من اجتهادهم.

٦_ فسّر الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم على قدر حاجة الصحابة، وهم لا يحتاجون لبيان معنى كل آية؛ لمعرفتهم باللغة العربية ولمعاصرتهم نزول القرآن الكريم، وترك كثيراً مما يدركه أرباب الاجتهاد باجتهادهم[٥].

الثاني: مانع ومنكر منعاً باتاً، مهما كان المفسر ملماً بعلوم الأولين والآخرين، ومتوافراً فيه تلك الشروط والأدوات، واستدلوا على ذلك بأدلة من القرآن والسنة، وآثار عن الصحابة والتابعين منها:

١_ قول الله تعالى: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) [٦]، حيث قالوا: إن القول على الله سبحانه وتعالى بغير علم محرم؛ لأنه في الآية معطوف على محرم، والتفسير بالرأي قول على الله سبحانه وتعالى بغير علم، فيكون محرماً. يقول الطبري: "فالقائل في تأويل كتاب الله، الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي جعل الله إليه بيانه – قائل بما لا يعلم وإن وافق قيله

(١) مسند الإمام احمد، بالرقم (٢٣٩٧): ٢٢٥/٤.
(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢٩٠/١.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: ٥٤/٨.
(٤) المصدر نفسه: ٩٠/١.
(٥) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ١٦٠/١. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين: ٢٧٥/١_٢٧٦. علوم القرآن ومناهج المفسرين، محمد قاسم الشوم: ٣١٥/١.
(٦) سورة الأعراف: الآية (٣٣).

ذلك في تأويله، ما أراد الله به من معناه؛ لأن القائل فيه بغير علم، قائل على الله ما لا علم له به.. عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ"[١].

٢_ قوله تعالى: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) [٢]، حيث قالوا: التفسير بالرأي قول بغير علم، فيكون منهياً عنه.

٣_ قول الرسول الله صلّى الله عليه وسلم: "اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[٣].

٤_ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[٤].

٥_ قول أبى بكر رضي الله عنه: "أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم"[٥].

٦_ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "إنما هو كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلم، فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدرى أفي حسناته يجد ذلك، أم في سيئاته؟"[٦].

٧_ كان التابعون يتحرجون في القول في التفسير إلا أن تكون الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة، ولقد قال مسروق: "اتقوا التفسير فإنه الرواية عن الله "[٧].

٨- سأل رجل سعيدًا أن يكتب تفسير القرآن، فقال: لأن يسقط شقي أحب إلى من ذلك. وقال مجاهد بن جبر: "ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في شيء من كتاب الله، إذا لم يكن عالمًا بلغات القرآن، ولا يكتفي باليسير منها؛ إذ اللفظ ربما كان مشتركًا فيغفل عن أحد المعنيين[٨].

وقد نوقشت أدلة المانعين تفصيلاً، ومساحة البحث والعنوان قيد الدراسة لا تسمحان بأكثر من هذا للإسهاب والإطالة بأكثر من هذا[٩].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: ٧٩/١.
(٢) سورة الإسراء: الآية (٣٦).
(٣) مسند الإمام احمد، بالرقم (٢٩٧٣): ١٢٢/٥.
(٤) سنن الترمذي، بالرقم (٢٩٥٢): ٥٠/٥.
(٥) موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، باب ما يخاف من اللسان، بالرقم (٢٠٧٩): ١٦٦/٢.
(٦) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر: ١٠٤٦/٢.
(٧) زهرة التفاسير، أبو زهرة: ٣١/١.
(٨) ينظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي: ٢٤١/١.
(٩) لمن يريد الاستزادة في عرض الأدلة ومناقشتها ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، من تأليف مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين: ٢٧٣-٢٧٦.

ثانياً: حكم التفسير بالرأي المذموم:

سبق وأن قلنا في حد التفسير بالرأي المذموم هو التفسير بمجرد الرأي والهوى، يعني أن المفسر يفسر القرآن الكريم بحسب هواه ورأيه ولعصبية مذهبه، ولا يقوم على دراسة محايدة متأنية، وتفسيره غير جار على قوانين اللغة العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، وأكثر الذين فسروا القرآن بالرأي المذموم هم أهل الأهواء والبدع الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل.

يقول ابن مسعود: "ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطع"، وكلام عمر رضي الله عنه إذ يقول: "إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأوّل القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس الملك على أخيه"[١].

وحكمه حرام لا يجوز، واستدلوا بقوله تعالى: إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) [٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) [٣]، وحديث: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[٤]، وحديث: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[٥][٦].

نخلص مما سبق أن التفسير بالرأي هو تفسير كلام الله تعالى بالرأي والاجتهاد، فإذا كان هذا الرأي موافقاً للأدلة الشرعية، ولقوانين اللغة العربية، وكان المفسر ملماً بشروط التفسير من المعرفة بالناسخ والمنسوخ والمكي والمدني وأسباب النزول، وكان صحيح المعتقد بعيداً عن الجهالة والهوى، وعالماً بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، فهذا حكمه جائز.

أما تفسير كلام الله تعالى بمجرد الرأي والهوى فحرام شرعاً؛ لأنه تقوّل على الله تعالى بغير علم.

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي: ٢٦٩/١.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٦٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٣٦).

(٤) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٤٩/٥.

(٥) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥٠/٥.

(٦) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: ٥٠/٢. التفسير والمفسرون، الذهبي: ١٨٨/١-١٨٩. دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي: ١٦٠/١-١٦١. علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، عبد المنعم النمر: ١٢١/١.

المبحث الثاني
مرتكزات مدرسة الرأي في التفسير

ذكرنا فيما سبق قسمي التفسير بالرأي، والآن سنذكر مرتكزات مدرسة الرأي في التفسير، ونقصد هنا الرأي المحمود، وهذه المرتكزات هي التي تحفظ حدود الرأي من أن يخرج من دائرة المحمود ويتجاوزها إلى المذموم.

وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة مهمة وهي للتأكيد على تداخل المنهجين التفسيريين، إذ لا ينفك التفسير بالرأي عن الاستناد إلى مرتكزات المأثور، كما لا يخلو التفسير بالمأثور من بصمات الاستنباط العقلي والترجيح النقدي، وإن الإطلاق في تسمية أحد المنهجين على عمل تفسيري ما هو إلا تغليبٌ للسمة البارزة والمنهج المهيمن، وليس نفياً كلياً لوجود الآخر.

فالاجتهاد العقلي (الرأي) ليس وليد فراغٍ فكري مجرد، بل هو صرحٌ مشيدٌ على قواعد راسخة يستمد مقوماته من معين الوحي والنقل الثابت. وبالمقابل، فإن التفسير المعتمد على النقل الصرف (المأثور)، يتطلب حتماً إعمالاً للعقل في الترجيح بين الأسانيد، وتدقيقاً في الدلالات اللغوية، واستنباطاً للأحكام والمعاني، مما يستوجب قدراً من الرأي المقبول.

إن هذا التلاحم العضوي بين النقل والعقل يرسخ حقيقة جوهرية مفادها أن الاعتدال هو الصراط المستقيم في علم التفسير. فلا غلو مقبول في التمسك بالمنقول لدرجة تعطيل ملكة العقل والاجتهاد المشروع، ولا إفراط مقبول في إعمال الرأي يصل إلى حد التنكر للأصول الثابتة والنقول الصحاح عن السلف الصالح، فالمأثور يمثل القواعد الصلبة والأساس المتين الذي يُقام عليه صرح الفهم القرآني الشامخ، والرأي المحمود هو الأداة البصيرة التي تُستخرج بها كنوز هذا الكتاب العظيم، وتُفَعَّل هداياته لتكون صالحةً لكل زمان ومكان، شريطة الالتزام الدقيق بضوابط الشرع الحنيف ولغة القرآن المبين.

فلا غرابة إذن من وجود المأثور في الرأي، أو وجود الرأي في المأثور.

وقد ذكر بعض العلماء العلوم التي يرتكز إليها المفسر بالرأي بصورة مجملة، فقال الراغب الأصفهاني فيما يحتاج إليه المفسر من العلوم، وهي عشرة: علم اللغة، والاشتقاق والنحو، والقراءات والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة، ثم ذكر أن من تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه[١].

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني: ١/٣٨_٣٩.

ويقول البيهقيّ: "الرّأي الّذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الرّأي لا يجوز الحكم به في النّوازل، فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأمّا الرّأي الّذي يسنده برهان، فالحكم به في النّوازل جائز، وكذلك تفسير القرآن به جائز"(١).

ويقول الشوكاني: "إن التفسير بالرأي والاجتهاد يكون جائزاً وموفقاً ومحموداً إذا استند إلى أربعة أمور وهي: النقل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والأخذ بقول الصحابي، الأخذ بمطلق اللغة، الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع"(٢).

وخلاصة الأمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير هي:

الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثانية: الأخذ بقول الصحابي فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

الثالثة: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلا ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

الرابعة: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل(٣).

وسنفصل الآن أهم المرتكزات التي يستند إليها التفسير بالرأي.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالمأثور:

إن أهم ما يلاحظ في مدرسة التفسير بالرأي أنه يتفق مع مدرسة التفسير بالمأثور في الأخذ بالمأثور، فلا يخلو تفسير بالرأي من تفسير الآيات بآيات أخرى، أو بحديث للنبي صلى الله عليه وسلم، أو بنقل أقوال للصحابة والتابعين، وذلك لأن جزءاً من التفسير لا يمكن معرفته إلا عن طريق النقل، كأسباب النزول، وقصص الآي، وناسخها.. وغير ذلك، فكتب التفسير بالرأي والاجتهاد أيًا كان لونها واتجاهها لا تخلو من الروايات المأثورة، إذ إن من شرط التفسير بالاجتهاد: أن يعتمد على ما ثبت بالنقل(٤).

يقول القرطبي: "والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التّفسير أوّلاً ليتّقي به مواضع الغلط، ثمّ بعد ذلك يتّسع الفهم والاستنباط"(٥).

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي: ٥٤٠/٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني: ١١/١.

(٣) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزّرقاني: ٥٠/٢. التفسير والمفسرون، الذهبي: ١٨٨/١-١٨٩.

(٤) ينظر: التفسير بالرأي مفهومه، حكمه، أنواعه، مساعد الطيار: ٧/٢. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد أبو شهبة: ١٦٧/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣٤/١.

وبما أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم فسّر لهم ما يحتاجون إلى تفسيرها، فلم يترك فيه جزءاً يحتاج إلى بيان ولم يبينه، ولا جزءاً يحتاج إلى تفصيل ولم يفصله، ولا مطلقاً يحتاج إلى تقييد ولم يقيده، لقوله تعالى: بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) [١][٢].

فعن ابن مسعود قال: لما نزلت شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه [٣].

ففي الحديث المذكور فسّر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك. وهذا المعنى مذكور في تفسير الخازن وتفسير الالوسي، وهما من التفاسير بالرأي[٤].

وذكر الرازي في تفسيره، وهو من التفاسير بالرأي في تفسير قوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قولين، الأول: أن المراد من منها رؤية الله سبحانه وتعالى قالوا: والدّليل عليه النّقل والعقل. واستدل بالحديث الصّحيح الوارد فيه، وهو أنّ الحسنى هي الجنّة، والزّيادة هي النّظر إلى الله سبحانه وتعالى[٥].

وكتب التفاسير بالرأي مليء بأقوال الصحابة والتابعين، ومن أمثلتها:

وفي الكشاف: "عن ابن مسعود: يرث كل وارث من الدية غير القاتل. وعن شريك: لا يقضى من الدية دين، ولا تنفذ وصية"[٦].

وفي تفسير النسفي: "وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) [٧] أربعين يوماً عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد رضى الله عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً"[٨].

(١) سورة النحل: الآية (٤٤).
(٢) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة: ٢٩/١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٧/١_٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى چ ٱ ب ب ب پ پ پ چ، بالرقم (٣٢٤٦): ١٢٦٢/٣.
(٤) ينظر: تفسير الخازن، علاء الدين علي الخازن: ١٥٤/٢. روح المعاني، الآلوسي: ١٧/٣.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٤٠/١٧.
(٦) الكشاف، الزمخشري: ٥٥٠/١.
(٧) سورة البقرة: الآية (٨٠).
(٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ١/ ١٠٤.

" خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) [١] قال الزجاج الختم التغطية لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير"[٢].

وفي تفسير البحر المحيط: "وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) [٣] فالشرك قاله الضحاك وابن زيد، والغناء قاله مجاهد، والكذب قاله ابن جريج. وفي الكشاف عن قتادة مجالس الباطل. وعن ابن الحنفية: اللهو والغناء. وعن مجاهد: أعياد المشركين وباللغو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح"[٤].

وغيرها من استدلال التفاسير بالرأي بالأقوال المأثورة.

المطلب الثاني: التفسير باللغة:

من العلوم المهمة التي يحتاج إليها من يفسر القرآن بالرأي هو علم اللغة؛ ذلك أنه لا تخلو آية من مبحث لغوي؛ ولأن المفسر بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، فيجب أن يكون المفسر عارفاً بقوانين اللغة خبيراً بأساليبها، فالقرآن الكريم نزل بلسان العرب، يقول الله تعالى: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) [٥]. فمن أراد تفهّمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلّب فهمه من غير هذه الجهة[٦].

قال الشافعي: "والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب.. فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح، والتشهد، وغير ذلك"[٧]. ذلك"[٧].

وقد سبق قول ابن عباس رضي الله عنه أن أحد أوجه التفسير وهو وجه تعرفه العرب من كلامها.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٧).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ٤٥/١.

(٣) سورة الفرقان: الآية (٧٢).

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي: ١٣٢/٨.

(٥) سورة الشعراء: الآية (١٩٥).

(٦) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢٢٩٣/٦. الموافقات، الشاطبي: ١٠٢/٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، القرآن، الزرقاني: ٥٠/٢. روح المعاني، الآلوسي: ٦/١.

(٧) الرسالة، الشافعي: ٤٢-٤٧.

وقال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"(١).

وعن يحيى بن سليمان قال: سمعت مالك بن أنس يقول: "لا أوتى برجل يفسّر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالاً"(٢).

يقول الشاطبي: "وأمّا الرّأي غير الجاري على موافقة العربية أو الجاري على الأدلة الشّرعيّة؛ فهذا هو الرّأي المذموم من غير إشكال، كما كان مذمومًا في القياس أيضًا، حسبما هو مذكور في كتاب القياس؛ لأنّه تقوّل على الله بغير برهان؛ فيرجع إلى الكذب على الله تعالى"(٣).

ففي هذه الآثار تتبين لنا أهمية اللغة في تفسير كلام الله تعالى، ولو رجعنا الى تفسير السلف لوجدنا أثر اللغة في التفسير عندهم، ومن أوضح ذلك استشهادهم بأشعار العرب.

ويرتكز التفسير بالرأي كثيراً على اللغة، نحوها وصرفها وبلاغتها، ووجوه الإعراب، وقد يتطرق لاحتمالات الآية من المعاني ويرجح بينها بنظر دقيق، وتحقيق عميق(٤).

ومن أمثله التفسير باللغة:

قال الرازي في تفسيره لقوله تعالى: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٨) (٥): "فقال القفّال: الأصل في جزى هذا عند أهل اللّغة قضى ومنه الحديث أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأبي بردة بن يسار: «تجزيك ولا تجزي أحدًا بعدك»، هكذا يرويه أهل العربيّة: «تجزيك» بفتح التّاء غير مهموز أي تقضي عن أضحيّتك وتنوب"(٦).

ويقول البيضاوي في تفسير الآية الكريمة:فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) (٧): "أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة، قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢٩٢/١.
(٢) شعب الإيمان، البيهقي: ٥٤٣/٣.
(٣) الموافقات، الشاطبي: ٢٧٩/٤-٢٨٠.
(٤) ينظر: علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر: ٨٩-٩٢.
(٥) سورة البقرة: الآية (٤٨).
(٦) شعب الإيمان، البيهقي: ٥٤٣/٣.
(٧) سورة الشعراء، الآية (١٦).

ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى، أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به، أو لأنه أراد أن كل واحد منا. فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول، والمراد خلهم ليذهبوا معنا إلى الشام"(١).

ويقول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) (٢): "فإن قلت هلّا فسرت عفى بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس يثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "واعفوا اللحى". فإن قلت فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محى له من أخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها، وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها"(٣).

وعند قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) (٤) يقول: "والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك تقديسه من سبح في الأرض والماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد"(٥).

وعند قوله تعالى: قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) (٦) يقول: "لا تأنيب عليكم ولا عتب. وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش. ومعناه: إزالة الثرب، كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع، لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده، فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه"(٧).

ومن التفسير بالرأي المذموم التسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة، من غير استظهار بالسّماع والنّقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدّلة، وما فيه من الاختصار

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ١٣٥/٤.
(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٨).
(٣) الكشاف، الزمخشري: ٢٤٧/١-٢٤٨.
(٤) سورة البقرة، الآية (٣٠).
(٥) الكشاف، الزمخشري: ١٥٤/١.
(٦) سورة يوسف، الآية (٩٢).
(٧) الكشاف، الزمخشري: ٧١٩/١.

والحذف والإضمار، فمن لم يحكم ظاهر التّفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربيّة كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسّر القرآن بالرّأي... ألّا ترى أنّ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾[١] معناه آيةً مبصرةً فظلموا أنفسهم بقتلها، فالنّاظر إلى ظاهر العربيّة يظنّ أنّ المراد به ان الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنّهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا في القرآن كثير[٢].

المطلب الثالث: بالمعقول:

إن من مرتكزات أصحاب الرأي في تفسير القرآن الكريم استخدامهم العقل، وهو أن يعمل المفسّر عقله في فهم القرآن، والاستنباط منه، مستخدماً آلات الاجتهاد، وسمّي بذلك لأنه يعمل عقله بالبيان، ومصدر الرأي: العقل؛ ولذا جعل التفسير العقليّ مرادفًا للتفسير بالرأي، فقد ورد مصطلح التفسير العقلي مؤخرًا[٣].

حتى قيل في تعريف التفسير بالرأي: تفسير القرآن بعملية عقلية يصبغها صاحبها بمعتقده وثقافته واتجاهه الفقهي كما تصطبغ بالحصيلة العلمية والثقافية للعصر الذي يعيش فيه المفسر إضافة إلى الموروث الحضاري المتفاعل مع حاضر المفسر وشخصيته[٤].

ولا ينبغي للذي يفسر القرآن بالعقل والرأي أن يأتي بدليل ينتصر به لرأيه أو مذهبه بحيث يجعل القرآن تابعاً ولا متبوعاً، ومأموراً لا أميراً، وهؤلاء قد ركزوا على المعنى الذي ذهبوا إليه دون النظر إلى دلالة وبيان ألفاظ القرآن مما يجعلهم يحملون اللفظ القرآني على غير محمله، مما يجعلهم الوقوع في الخطأ[٥].

يقول مقاتل بن سليمان: "وقد كان أكثر من قام بالتفسير العقلي علماء العراق أصحاب مدرسة الرأي في التشريع، وتلاميذ ابن مسعود أستاذ أصحاب الرأي"[٦].

ففي تفسير الخازن عند تفسير قول الله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) [٧]:

(١) سورة الإسراء، الآية (٥٩).
(٢) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: ٤٧/٣.
(٣) ينظر: موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور: ١/ ١٧٨. التفسير بالرأي، مساعد الطيار: ٢/١.
(٤) وقفة مع الطبري والتفسير، مسلم عبدالله آل جعفر: ٧٠/١.
(٥) ينظر: مذهب أهل السنة في التفسير، أحمد بزوي الضاوي: ١٦/١.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان: ١٧/٥.
(٧) سورة يونس، الآية (٢٦).

"اختلف المفسرون في معنى الحسنى والزيادة.. فقيل: إن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا قول جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، واستدلوا بصحة قولهم بالمنقول والمعقول... وأما المعقول فنقول: إن الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت إلى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو إلى دار السلام، فثبت بهذا أن المراد من لفظة الحسنى هي الجنة، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمراً مغايراً لكل ما في الجنة من النعيم وإلا لزم التكرار، وإذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى"(١).

واستدل الرازي بالمعقول في وجوب قراءة الفاتحة، فقال: وأمّا المعقول فهو أنّه يفيد دفع ضرر الخوف عن النّفس، ودفع الضّرر عن النّفس واجب، فإن قالوا: فلو اعتقدنا الوجوب لاحتمل كوننا مخطئين فيه، فيبقى الخوف، قلت: اعتقاد الوجوب يورث الخوف المحتمل، واعتقاد عدم الوجوب يورثه أيضًا فيتقابل هذان الضّرران، وأمّا في العمل فإنّ القراءة لا توجب الخوف، أمّا تركه فيفيد الخوف، فثبت أنّ الأحوط هو العمل(٢).

واستدل أيضاً بالمعقول في مسألة (الإضرار في الوصيّة من الكبائر) فقال: وأمّا المعقول فهو أنّ مخالفة أمر الله عند القرب من الموت يدلّ على جراءة شديدة على الله تعالى، وتمرّد عظيم عن الانقياد لتكاليفه، وذلك من أكبر الكبائر(٣).

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسير قوله تعالى: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) (٤): "وقد يقال: إنه بالاختلاط تتغير أجرام العذب حتى لا تظهر، فإذا ذاق الإنسان من الملح المنبث فيه تلك الأجزاء الدقيقة لم يحس إلا الملوحة، والمعقول يشهد بذلك، لأن تداخل الأجسام غير ممكن، لكن التفرق والالتقاء ممكن. وأنشد القاضي منذر بن سعيد البلوطي، رحمه الله تعالى:

وممزوجة الأمواه لا العذب غالب على الملح طيبا لا ولا الملح يعذب(٥).

وعند تفسير قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) (٦) قال الآلوسي: وذكر صدر الإسلام أبو اليسر في مبسوطه الصحيح أن الغالب في هذا الحد حق العبد كما قال الشافعي؛ لأن أكثر الأحكام تدل عليه والمعقول يشهد له وهو أن العبد ينتفع به على الخصوص، وقد نص محمد في الأصل على أن حد

(١) تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: ١٨٦/٣.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ١٧١/١.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٥٢٥/٩.
(٤) سورة الرحمن، الآيتان (١٩_٢٠).
(٥) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي: ٦٠/١٠.
(٦) سورة النور، الآية (٤).

القذف كالقصاص حق العبد، وتفويضه إلى الإمام لأن كل أحد لا يهتدي إلى إقامته ولأنه ربما يريد المقذوف موته لحنقه فيقع متلفا، وإنما لا يورث لأنه مجرد حق ليس مالا ولا بمنزلته فهو كخيار الشرط وحق الشفعة بخلاف القصاص فإنه ينقلب إلى المال، وأيضا هو في معنى ملك العين لأن من له القصاص يملك إتلاف العين وملك الإتلاف ملك العين عند الناس فصار من عليه القصاص كالملك لمن له القصاص فيملكه الوارث في حق استيفاء القصاص، وإنما لا يصح عفوه لأنه متعنت فيه لأنه رضا بالعار والرضا بالعار عار ولا يخفى ما في ذلك من الأبحاث"[١].

وفي تفسير الكشاف للزمخشري تأويلات عقلية كثيرة، خاصة فيما يتعلق بالأسماء والصفات، والزمخشري على مذهب الاعتزال يجري تلك الآيات على مذهبهم، زعماً منهم أن أخذها على ظاهرها يؤدي إلى التجسيم، وهم يقعون بذلك في إشكالية إعمال العقل في مجال الغيب، كما يذهب الزمخشري إلى التحسين والتقبيح العقليين على مذهب المعتزلة، فمثلاً يقف الزمخشري عند قوله تعالى: رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) [٢] وقوله تعالى: [٣] فيتساءل: "كيف يكون للناس على الله حجّة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة، والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة، ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها"؟ فيجيب اعتماداً على مذهبه في التحسين والتقبيح العقلي فيقول: "قلت: الرسل منبّهون عن الغفلة، وباعثون على النظر، كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد، مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين، وبيان أحوال التكليف. وتعليم الشرائع، فكان إرسالهم إزاحة للعلّة، وتتميماً لإلزام الحجّة لئلا يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً فيوقظنا من سنة الغفلة، وينبهنا لما وجب الانتباه له"[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

[٥] قال سراج الدين عمر: "اختلفوا في أنه هل لله تعالى نعمةً على الكافر أم لا؟ فقال بعض أصحابنا: ليس لله تعالى على الكافر نعمة. وقالت المعتزلة: لله تعالى على الكافر نعمة دينية، ونعمة دنيوية. واحتجّ الأصحاب على صحّة قولهم، بالقرآن [الكريم]، والمعقول.. وأما المعقول: فهو أنّ نعم الدنيا الفانية في مقابلة عذاب الآخرة على الدوام، كالقطرة في البحر، ومثل هذا لا يكون نعمةً، فقد احتجّوا بقوله

(١) روح المعاني، الآلوسي: ٢٩٢/٩.
(٢) سورة النساء، الآية (١٦٥).
(٣) سورة الإسراء، الآية (١٥).
(٤) الكشاف، الزمخشري: ٢٢٤/١-٢٢٥.
(٥) سورة الفاتحة، الآية (٧).

تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) [١]، على أنه يجب على الكلّ طاعة الله تعالى لأجل هذه النعم، وإلاّ لما كانت هذه النعم العظيمة معتبرةً؛ وقوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) [٢]، ذكر ذلك في معرض الامتنان، وشرح النعم"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) [٤] قال القنوجي: "ويدل عليه القرآن والحديث والمعقول.. وأما المعقول فإن القلب إذا غشى عليه، وقطع سائر الأعضاء لم يحصل له شعور، واذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات، وعبارة الخازن، ومن المعقول أن موضع الفرح والسرور، والغم والحزن، هو القلب، فإذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر الأعضاء، فكان القلب كالرئيس لها، ومنه: إن موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين، فإذا ثبت ذلك كان القلب هو الأمير المطلق، وهو المكلف لأن التكليف مشروط بالعقل والفهم"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) [٦] قال محمد رشيد رضا: "والمعقول في تعليل الخلود الخلود في النّار هو ما بيّنّاه في سورة الأنعام وغيرها من أنّ عذاب النّار الدّائم أثر طبيعيّ لتدسية[٧] النّفس بالكفر والظّلم والفساد"[٨].

وغيرها من الأمثلة تبين استدلالهم بالمعقول في تفسير كلام الله تعالى.

المطلب الرابع: التفسير العلمي:

(١) سورة البقرة، الآيتان (٢١_٢٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر النعماني: ٢١٨/١.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان (١٩٣_١٩٤).

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: ٤١٨/٩.

(٦) سورة هود، الآية (١٠٨).

(٧) من دسس والدس: إدخال الشيء من تحته، ٹ ڈ چ ڤ ڤ چ چ چ چ چ چ چ چ چچ يقول: أفلح من جعل نفسه زكية مؤمنة وخاب من دسسها في أهل الخير وليس منهم، وقيل: دساها جعلها خسيسة قليلة العمل الخبيث. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٨٢/٦.

(٨) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ١٣٣/١٢.

لقد شهد التفسير بالرأي في العصر الحديث تطورًا ملحوظًا تمثّل في اعتماد ما يُعرف بـ الإعجاز العلمي في القرآن بوصفه أحد مسالكه المعاصرة. فهذا الاتجاه يقوم على استثمار المنجزات العلمية الحديثة ومحاولة مقارنتها بالنصوص القرآنية للكشف عن أوجه التوافق بينها. ومما لا شكّ فيه أنّ هذا اللون من التفسير لم يكن مطروحًا عند المفسرين القدماء الذين انصبّ اعتمادهم على أدوات اللغة والبلاغة وأسباب النزول والمأثور عن السلف. غير أنّ اتساع المعرفة العلمية وتقدّم التكنولوجيا في القرنين الأخيرين قد أتاحا للباحثين آفاقًا جديدة لفهم النص، فظهر التفسير العلمي باعتباره محاولة لربط الخطاب القرآني بالمعطيات الكونية المستجدة، سواء بهدف تعزيز الإيمان أو لإبراز شمول الرسالة القرآنية واتساع دلالاتها.

ويقصد بالتفسير العلمي تفسير الآيات وفق قواعد العلم الحديث، والنظر في الآيات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية، وذلك بالاستعانة بالعلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها وتقدير معناها، وكذلك اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن[١].

ويدخل من ضمن هذا التفسير أيضاً ما يسمى بالإعجاز العلمي.

ومما يلاحظ في هذا الأمر أن التفاسير لا تتطرق إلى ذكر القضايا العلمية بالتفصيل، وإنما هناك من العلماء من أفرد لها كتباً خاصة.

وقد اختلفت أنظار العلماء حول هذا النوع من التفسير، منهم الإمام محمد عبده، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد أبو زهرة، ومحدث المغرب أبو الفيض أحمد بن صديق الغماري، ونستطيع أن نعد منهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، صاحب أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، واشترطوا فيه شروطاً، وهي:

١_ ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة العربية فلا بد من مراعاة معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي.، ومراعاة القواعد النحوية ودلالاتها، ومراعاة القواعد البلاغية ودلالاتها. خصوصاً قاعدة أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية.

٢_ البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن العلمي.

٣_ أن لا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل: فما وافقها قبل وما عارضها رفض.

(١) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح الخالدي: ٥٦٦. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي: ٥٤٩/٢.

٤_ أن لا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض والنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص، أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن، لأنها عرضة للتصحيح والتعديل إن لم تكن للإبطال في أي وقت(١).

أما المانعون من التفسير العلمي منهم في القديم الإمام الشاطبي، حيث ذكر "أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، وإلى هذا، فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى"(٢).

وفي هذا العصر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت والأستاذ سيد قطب والشيخ محمد حسين الذهبي وعائشة بنت الشاطئ.

وعلّلوا ذلك بأسباب، وهي:

١_ إن القرآن كتاب هداية، وإن الله لم ينزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف.

٢_ إن التفسير العلمي للقرآن يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير.

٣_ إن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المتكلف الذي يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم.

٤_ أنه ينبغي الاستفادة من النظريات العلمية دون إقحامها على القرآن الكريم أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقتها كلما تغيرت من زمن إلى زمن ومن تفكير إلى تفكير(٣).

ومن الأمثلة على تفسير القرآن العلمي:

قال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) (٤).

يقول محمد سيد طنطاوي: "ووصف بأنه يخرج من بين الصّلب والتّرائب، لأن الناس لا يتفطنون لذلك.. وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن، الذي لم يكن علم به للذين نزل بينهم"(١).

---

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة: ٦٩٨-٦٩٩.

(٢) الموافقات، الشاطبي: ١٢٧/٢.

(٣) ينظر: الآيات الكونية دراسة عقدية، عبدالمجيد بن محمد الوعلان: ١٣١-١٣٢. الموسوعة القرآنية المتخصصة: ٦٩٨-٦٩٩.

(٤) سورة الطارق: الآيات (٥_٧).

وقال تعالى: أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) [٢].

قال محمد رشيد رضا بعد أن فصل في تفسير هذه الآية: "هذا التّفصيل الّذي يؤخذ من مجموع الآيات يتّفق مع المختار عند علماء الكون في هذا العصر من أنّ المادّة الّتي خلقت منها هذه الأجرام السّماويّة وهذه الأرض كانت كالدّخان، ويسمّونها السّديم، وكانت مادّةً واحدةً رتقًا ثمّ انفصل بعضها من بعض، ويصوّرون ذلك تصويرًا مستنبطًا ممّا عرفوا من سنن الخلق، إذا صحّ كان بيانًا لما أجمل في الآيات، وإذا لم يصحّ كلّه أو بعضه لم يكن ناقضًا لشيء منها، فهم يقولون: إنّ تلك المادّة السّديميّة كانت مؤلّفةً من أجزاء دقيقة متحرّكة، وأنّها قد تجمّع بعضها وانجذب إلى بعض بمقتضى سنّة الجاذبيّة العامّة، فكان منها كرة عظيمة تدور على محور نفسها، وأنّ شدّة الحركة"[٣].

وقال الله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) [٤].

يقول محمد راتب النابلسي: "ويعتقد علماء الفلك حالياً أنّ النيازك والشهب ما هي إلا مقذوفات فلكية مختلفة الأحجام، وتتألّف في معظمها من معدن الحديد، ولذلك كان معدن الحديد من أوّل المعادن التي عرفها الإنسان على وجه الأرض، لأنه يتساقط بصورة نقيّة من السماء على شكل نيازك، يتساقط في كلّ عام آلاف النيازك والشّهب على كوكب الأرض، التي قد يزن بعضها أحياناً عشرات الأطنان، وقد عثر على نيزك في أمريكا بلغ وزنه اثنين وستين طناً، مكوّناً من سبائك الحديد والنيكل، أما في ولاية (أريزونا) فقد أحدث نيزك فوهةً ضخمةً عمقها مئتا متر، وقطرها ألف متر، وقد بلغت كميات الحديد المستخرجة من شظاياه الممزوجة بالنيكل عشرات الأطنان.

ومن هذا الشرح العلميّ تتبيّن لنا دقّة الوصف القرآني ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾، ولكن ما البأس الشديد؟ وما هي المنافع التي أشار إليها القرآن بقوله: وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ؟ لقد وجد علماء الكيمياء أنّ معدن الحديد هو أكثر المعادن ثباتاً، وقوةً، ومرونةً، وتحمّلاً للضغط، وهو أيضاً أكثر المعادن كثافةً،

(١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي: ٣٥٥/١٥.
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٣٠).
(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ٣٩٧/٨.
(٤) سورة الحديد: الآية (٢٥).

وهذا يفيد الأرض في حفظ توازنها، كما يعدّ معدن الحديد الذي يكوّن ثلث مكوّنات الأرض أكثر العناصر مغناطيسيةً، وذلك لحفظ جاذبيتها"[١].

وقال تعالى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) [٢].

"النظرة العلمية لهذه الآية: أنه كلما نظر الإنسان الى نجوم السماء وكواكبها يراها متماسكة وثابتة في مواضعها، وهي سابحة في أفلاكها طبقا لنظام بديع لا يحيد عنه أبدا، وقد فسر العلم هذه القوة الكونية التي تحفظ السماء والأرض والكون من التفكك، وتصونه من الاضطراب والخلل بأنها قوة الجاذبية التي اكتشفها عالم رياضيات إنجليزي هو (نيوتن) في أوائل القرن السابع عشر عندما لاحظ يوما تفاحة سقطة عن شجرتها على الأرض، فأخذ يفكر في اسباب سقوطها، هو وغيرها من الأجسام التي تقع تلقائيا على الأرض، وهداه تفكيرها العميق الى الوصول الى استنباط نظرية الجاذبية، واستطاع أن يضع لها قوانين دقيقة أثبتت صحتها بالتجارب العلمية، ووضع بما لا يقبل الشك أن هناك علاقة بين كتل الأجسام المتجاذبة وبين المسافات التي بينها، وقد ساعد قانون الجاذبية علماء الفلك على فهم الكثير من الحقائق الكونية التي كانت مجهولة تماما من قبل"[٣].

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث وبعد استقراء مباحثه وتحليل قضاياه توصلنا إلى جملة من النتائج الآتية:

أولاً: القرآن الكريم كتاب الله تعالى، أنزله بلسان عربي مبين، لهداية البشر وسعادتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

ثانياً: ظهرت مدرستان لتفسير كلام الله تعالى، مدرسة التفسير بالمأثور، ومدرسة التفسير بالرأي، ولكل منهما مميزاتها وخصائصها.

ثالثاً: التفسير بالرأي هو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد، ويسمى التفسير بالدراية، وهو لا ينفك عن المأثور في الجملة أياً كانت ألوانه واتجاهاته.

رابعاً: التفسير بالرأي يبيّن مرونة القرآن الكريم، واستجابته لمختلف الأحداث والوقائع.

خامساً: ينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين: التفسير بالرأي المحمود، والتفسير بالرأي المذموم.

سادساً: إذا كان التفسير بالرأي موافقاً للأدلة الشرعية، ولقوانين اللغة العربية، وكان المفسر ملماً بشروط التفسير، فهذا حكمه جائز، أما إذا كان بمجرد الرأي والهوى فحرام شرعاً؛ لأنه تقوّل على الله تعالى بغير علم.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي: ٦٦/٢.

(٢) سورة الرعد: الآية (٢).

(٣) إعجاز القرآن الكريم، سناء فضل عباس:٢٧٢.

سابعاً: إن أهم المرتكزات التي يستند إليها أصحاب مدرسة الرأي في التفسير هو: التفسير بالمأثور، واللغة، والمعقول، والتفسير العلمي.

وختاماً، فإن التوازن بين النص والعقل يظل من أهم معالم المنهج التفسيري الرشيد، القادر على حفظ ثوابت الشريعة والاستجابة لتحديات العصر.

والحمد لله أولاً وآخراً

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٥، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٢. **الإتقان في علوم القرآن**، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٣. **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٤. **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، مكتبة السنة، ط٤، (د. ت).

٥. اعجاز القرآن الكريم، سناء فضل عباس، دار النفائس-الأردن، ٢٠١٥م

٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ – ١٤١٨هـ.

٧. **الآيات الكونية دراسة عقدية**، عبدالمجيد بن محمد الوعلان، جامعة الإمام-السعودية، ١٤٣٣هـ.

٨. **البرهان في علوم القرآن**، محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م.

٩. **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، صلاح الخالدي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق، ٢٠١٢.

١٠. **تفسير البحر المحيط**، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

١١. **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت / لبنان ، (د. ط)، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

١٢. **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١٣. **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٤. **تفسير المنار**، محمد رشيد بن علي رضا (ت:١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٥. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٦. **التفسير بالرأي مفهومه.. حكمه.. أنواعه**، د مساعد بن سليمان الطّيّار، (د. ط)، (د. ت).

١٧. **تفسير عبد الرزاق**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١٤١٩،١هـ.

١٨. **تفسير مقاتل بن سليمان**، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

١٩. **التفسير والمفسرون**، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، (د. ت).

٢٠. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢١. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

٢٢. **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي–السعودية، ط١، ١٩٩٤م.

٢٣. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

٢٤. **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٣م.

٢٥. **الحديث في علوم القرآن والحديث**، حسن محمد أيوب (ت: ١٤٢٩هـ)، دار السلام – الإسكندرية

٢٦. **دراسات في علوم القرآن الكريم**، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط ١٢، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٢٧. **الرسالة**، محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ -١٩٤٠م.
٢٨. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٩. **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي، (د. ت).
٣٠. **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.
٣١. **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق، الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٣٢. **علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر**، عبد المنعم النمر (ت: ١٩٩١ م)، دار الكتب الاسلامية – القاهرة، ط١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٣٣. **علوم القرآن الكريم**، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
٣٤. **علوم القرآن ومناهج المفسرين**، محمد قاسم الشوم، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤.
٣٥. **فتح البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا – بيروت، (د. ط)، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
٣٦. **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.
٣٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٧هـ.
٣٨. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
٣٩. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ.

٤٠. **مباحث في علوم القرآن**، مناع بن خليل القطان (ت:١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤١. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م.
٤٢. **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٤٣. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (ت:٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.
٤٤. **مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن**، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، دار البيان العربي – القاهرة.
٤٥. **مذهب أهل السنة في التفسير**، أحمد بزوي الضاوي، المغرب، (د.ت).
٤٦. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، إشراف: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.
٤٧. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، (د. ت).
٤٨. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٤٩. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، (د. ت).
٥٠. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د. ط) ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٥١. **مفاتيح الغيب**، محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٥٢. **مقدمة ابن خلدون**، عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، دار يعرب، ٢٠٠٤.
٥٣. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبدالعظيم الزّرقاني (ت:١٣٦٧هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٥٤. **الموافقات،** إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٥٥. **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،** محمد راتب النابلسي، دار المكتبي – سورية – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا، ط٢، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٥٦. **الموسوعة القرآنية المتخصصة،** مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.
٥٧. **موسوعة علوم القرآن،** عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربي – حلب، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.
٥٨. **الموطأ،** مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت:١٧٩هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.
٥٩. **نفحات من علوم القرآن،** محمد أحمد محمد معبد (ت: ١٤٣٠هـ)، دار السلام – القاهرة، ط٢، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٦٠. **الواضح في علوم القرآن،** مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.
٦١. **وقفة مع الطبري والتفسير،** مسلم عبدالله آل جعفر، مجلة جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، ١٩٩٣م.